حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الآفاق الجديدة
الطبعة الثانية
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

ومختلف كتب الحديث ، والشمائل ، والتفسير ، وأسباب نزول القرآن ، وأسباب ورود الحديث ، والطبقات ، والتاريخ .

وفقنا الله لما فيه خير العرب والمسلمين وأعاننا على احياء معالم دينه الحنيف .

الناشر

نسبه

عليه السلام

هو النبي العربي ، جامع شمل العرب ، ومجدد حياتهم السياسية ، (محمد بن عبدالله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية القرشية (إبن عبد المطلب) من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية القرشية • وكان عبد المطلب زعيم قريش في الجاهلية وأحد سادات العرب ومقدميهم ، أحبه قومه ورفعوا من شأنه ، (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية وكان عبد مناف يسمى قمر البطحاء ، وكان له أمر قريش بعد موت أبيه • (ابن قصي) من زوجه حبى بنت حليل الخزاعية • وكان الى قصي في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة ، والندوة واللواء ، وكانت قريش تتيمن برأيه ، فلا تبرم أمرا الا في داره ، وقصي (بن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة (ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك ومرة يكنى ابا يقظة ، من نسله بنو يقظة وبنو مخزوم وبنو تيم (ابن كعب) من زوجه وحشية بنت شيبان من بني فهر أيضا وكان كعب عظيم القدر عند العرب حتى ارخوا بموته الى عام الفيل ، وهو اول من سن الاجتماع يوم الجمعة • (ابن لؤي) من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاعة ، ولؤي هذا كان التقدم في قريش لبنيه وبني بيته ، وتاريخهم حافل ضخم ، (ابن غالب) من زوجه أم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي (ابن فهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من هذيل ، وكان فهر رئيس الناس بمكة ، وهو جماع قريش في قول هشام ، وكانت منازل بنيه حول مكة • قال ابن حزم : لا قريش غيرهم ، ولا يكون

قرشي الا منهم ، وهم بطون كثيرة ، (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان وكنية النضر ابو يخلد ، وقيل اسمه قيس ولقب بالنضر لجماله • وفي النسابين من يرى أنه هو قريش (ابن كنانة) من زوجه برة بنت مر بن إد (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان ، وخزيمة هو الذي نصب « هبل » على الكعبة فكان يقال هبل خزيمة (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاعة ، وكان اسم مدركة عمرا ، ولقب بمدركة فغلب عليه (ابن الياس) من زوجه ليلى (الملقبة بخندف) بنت حلوان ، المضروب بها المثل في الشرف والمنعة ، والياس هذا هو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام ، ويذكر عن النبي (ص) انه قال : «لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا » (ابن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد • وكان مضر من أحسن الناس صوتا ، وقيل انه اول من سن الحداء للابل في العرب ، (ابن نزار)من زوجه سودة بنت عك ، وكانت لنزار سيادة وثروة كبيرة ، (ابن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان) •

هذا هو النسب الصحيح المجمع عليه من علماء التاريخ والمحدثين ، وما فوق ذلك مختلف فيه • وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انتسب فبلغ عدنان أمسك وقال: كذب النسابون• الا ان رجال الانساب مجمعون على انه من ولد اسماعيل ، والخلاف في اسماء آبائه وعدد من بينه وبين اسماعيل منهم • وعن عائشة رضي الله عنها : « ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرجا » • وعن واثلة بن الاسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » •

فالنبي اذن من صميم قريش التي لها القدم الاولى في الشرف وعلو

المكانة بين العرب ، ولا تجد في سلسلة آبائه الا كراما ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة ، وكذلك امهات آبائه من أرفع قبائلهن شأنا • ولا شك ان شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة ، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعيا بحسب الاصول العربية ، ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله •

ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة وحملها

كان عبدالله بن عبد المطلب احسن رجل رؤي في قريش قط ، ومن أحب ولد أبيه اليه ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا. ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم • ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار : فانه كان ذهب بتجارة الى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع وقيل : مات بالابواء ، بين مكة والمدينة • ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر عبد المطلب بهذا المولود الكريم الذي بث فيما بعد روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق • وكان ذلك صبيحة يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق لليوم العشرين من نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ من الميلاد، وهو يوافق السنة الاولى من حادثة الفيل • وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم ، وكانت قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسرورا وسماه محمدا وقيل : انما سماه محمدا لرؤيا رآها • قيل انه رأى في منامه ، كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، واذا

أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها ، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض ، فلذلك سماه محمدا • ولم يكن هذا الاسم شائعا قبل عند العرب •

الرضـــاع

وكان من عادة العرب ان يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون : ان المربى في المدن يكون كليـل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفـالا يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية واسم زوجها ابو كبشة ، وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون : هذا ابن ابي كبشة يكلم من السماء ! ودرت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربعة سنوات •

حادثة شق الصدر

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفا فردته الى أمه وحدثتها قائلة : بينما هو وأخوه في بهم لنا خلف بيوتنا اذ اتانا أخوه يشتد فقال لي ولابيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه ، فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعا لونه ، فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا له : ما لك يا بني ؟ فقال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو •

ذكر الخبر عن وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته

وكفالة أبي طالب

ثم ان أمه أخذته منها وقدمت على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم ، وبينما هي عائدة الى مكة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالابواء • فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنا عظيما في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ، قالت أم أيمن : كنت أحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول: يا بركة • قلت لبيك • قال أتدري اين وجدت ابني ؟ قلت لا أدري • قال : وجدته مع غلمان قريبا من السدرة ، لا تغفلي عن ابني ، فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم • ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكفله عمه أبو طالب فكان له رحيما وعليه غيورا • وكان أبو طالب مقلا من المال فبارك الله له في قليله ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له •

ذكر سفره مع عمه إلى الشام

ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ، أراد ابو طالب السفر بتجارة الى الشام ، فلما تهيأ للرحيل تعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعظم فراقه فرق له أبو طالب وأخذه معه • فلما نزل الركب في قرية بصرى من أرض الشام لقيهم بحيرا الراهب فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة

نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا انه لم يظهر للآن. وهذه العبارة كثيرا ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

حرب الفجار

كان البراض بن قيس بن رافع الكناني ، سكيرا فاسقا فاتكا ، يضرب بفتكه المثل ، تبرأ منه قومه ، ففارقهم وقدم مكة ، فنزل على حرب بن أمية، فحالفه وأحسن جواره، وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلعه، فقال لحرب : انه لم يبق أحد ممن يعرفني الا خلعني سواك ، وانك ان خلعتني لم ينظر الي احد بعدك ، فدعني على حلفك وانا خارج عنك ، وتركه وخرج الى العراق .

وكان للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة تجارة يرسلها كل عام الى سوق عكاظ [1] يجيزها له سيد مضر . فجلس يوما وعنده البراض وعروة ابن عتبة بن جعفر الرحال فقال : من يجيز تجارتي هذه الى عكاظ ؟ فقال البراض : أنا أجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : انما اريد رجلا يجيزها على أهل نجد . فقال عروة وهو يومئذ رجل هوازن : أكلب خليع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن [2] ، أنا اجيزها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد [3] وتهامة [4] .

---

(١) سوق كانت تعقدها العرب كل عام لتعرض فيها تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب

(٢) تحية عربية ومعناها باعدت كل ما استحق المذمة .

(٣) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها .

(٤) هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق .

فقال له البراض : أعلى كنانة تجيزها يا عروة ؟ فقال عروة : وعلى الناس جميعا • فأسرها في نفسه ، وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة ونزل بأرض يقال لها : أوارة ، دخل عليه البراض وقتله غدرا ، ثم أرسل رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر ، ويحذرهم قيسا قوم عروة • وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أنهمت لتدرك ثأرها حتىأدركوا قريشا وكنانة بنخلة[1] فاقتتلوا، ولما اشتد البأسوحميت قيس، احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله وله عشرون سنة • ثم ان قيسا قالوا لخصومهم : انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضا • فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكانت معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم ،وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفا وسنا ، وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوما من أشد أيام العرب هولا ، ولما استحل فيه من حرمات مكة التى كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار • وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان • وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيرا ما تشبه حروب العربتبدؤها صغيرات الامور حتى الف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم •

---

(١) موضع بين مكة والطائف .

حلف الفضول

وعند منصرف قريش من الفجار تداعوا لحلف الفضول ، وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وبنو أسد ابن عبد العزى في دار ابن جدعان ، فتعاقدوا وتعاهدوا الا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها او من غيرهم الا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته • وقد شهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعمامه ، وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة: «لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبدالله جدعان ما أحب لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت » •

رحلته إلى الشام المرة الثانية

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية . وذلك ان خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى كانت ذات شرف ومال وتجارة تبعث بها الى الشام ، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة ، فلما سمعت عن محمد وأمانته وصدقه أرسلت اليه وقالت: انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم اخلاقك ، وأنا اعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك . واستأجرته فخرج في تجارة لها الى سوق بصرى مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحا عظيما •

وظهر لمحمد في هذه السفرة من البركات ما حببه في قلب ميسرة غلام خديجة •

زواجه خديجة

فلما عادا الى مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من محمد ودست

له من عرض عليه الزواج بها ، وكانت سنها نحو الاربعين ، وهي من أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا واكثرهم مالا ، فأجاب . فأرسلت الى عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى فحضر ، وتزوجها رسول الله بحضور أعمامه .

وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضىء [1] معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ، ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) . وعلى ذلك تم الامر . وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام .

ذكر بناء البيت

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة ، أي قبل بعثته عليه السلام بخمس سنين ، جاء سيل جارف فصدع جدران الكعبة . فاقتسمت القبائل العمل لبنائها ، وكان الذي يبنيها باقوم الرومي بمساعدة نجار مصري ، فلما انتهوا الى وضع الحجر الاسود خدث بين القبائل خلاف في أيها تختص بشرف وضعه ، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ، ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال ، ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا ، وكان أسن رجل في قريش اذ ذاك أبو أمية

(١) أصل .

ابن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم ، فقال لهم : يا معشر قريش لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه ، فقالوا : نكل الامر لاول داخل • فكان اول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضيناه ، هذا محمد ، واطمأنوا له لما عرفوه من وفور عقله وسداد رأيه ، فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر طلب رداء ووضع عليه الحجر وامر القبائل فأمسكت بأطرافه ورفعوه حتى اذا وصل الى مكانه في البناء في الركن الشرقي اخذه هو فوضعه بيده • وكانت النفقة قد بهظتهم فقصروا بناءها على ما هي عليه الآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة : « لولا ان قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض ، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة آذرع من الحجر ، فان قريشا استصغرتها حينما بنت الكعبة » •

معيشته عليه السلام قبل البعثة

لم يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم من والده شيئا ، بل ولد يتيما عائلا ، ولما بلغ أشده كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية ، وكذلك كان عمله لما رجع الى مكة ، كان يرعاها لاهلها على قراريط •

ولما شب عليه الصلاة والسلام كان يتجر ، وكان له شريك يدعى السائب بن أبي السائب • وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها الى الشام على جعل يأخذه • ثم تزوجها وصار يعمل في مالها ويأكل من نتيجة عمله •

سيرته قبل النبوة

كان عليه السلام أحسن قومه سيرة وأطهرهم سريرة وأعلاهم أخلاقا

وأصدقهم حديثا واكثرهم امانة ، فلقبه قومه بالامين • لم يعهد عليه كذب ولا رياء ولا لهو • وقد شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر !! لا والله ما هو بساحر . قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه • ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلا : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله . ورد ذلك في أول صحيح البخاري . وقد حفظه الله في صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها وبغضت اليه الاوثان بغضا شديدا حتى ما كان يحضر لها احتفالا أو عيدا مما يقوم به عبادها ، وقال عليه السلام : « ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لاهله يرعاها أبصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم ، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت ما هذا ؟ فقالوا فلان تزوج فلانة ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فاخبرته • ثم عداني مرة أخرى مثل ذلك •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما هممت بغيرهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى اكرمني الله عز وجل بنبوته •

وذكر الواقدي عن أم أيمن قالت : كانت « بوانة » صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك له وتحلف عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في

كل سنة ، فكان أبو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك • فغضب عليه أبو طالب وغضبت عماته أشد الغضب ، ولم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع مرعوبا فزعا ، فقلنا : ما دهاك ؟ قال : انـي أخشى أن يكون بي لمم ، فقلنا ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وكان فيك من خصال الخير ما كان ، فما الذي رأيت ؟ قال : اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : وراءك يا محمد لا تمسه • قالت أم ايمن : فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلوات الله عليه وسلامه •

وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب ، وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعا عظيما ، وذلك كله من الصفات التي يجلي الله بها رسله وانبياءه ليكونوا على استعداد لتلقى الوحي ، فهـم معصومون من الادناس قبل النبوة وبعدها • قبل النبوة تأهبا لما سيسند اليهم وبعدها ليكونوا قدوة لاممهم وشعوبهم •

تبشير التوراة به

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذاك الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم ، فمما جاء فيها تبشيرا برسولنا الكريم خطابا لسيدنا موسى عليه السلام [1]: (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي يجترىء على بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره بـه أو باسم آلهة أخرى فليقتل • واذا احببت أن تميز بين النبي الصادق

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية .

والكاذب فهذه علامتك . ان ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح فانهم (١) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايلياء ؟ فقال لا . فقالوا : أنت المسيح ؟ فقال : لا ، فقالوا : أنت.النبي ؟ فقال : لا ، فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبى ، فهذه تدل على أن التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ، ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة « ولوْ تَقَوَّل عليْنا بعْضَ الأقاويلِ لأخذْنا مِنْه بالْيَمينِ ثُمَّ لقَطعْنا مِنْه الوَتينَ » (٢) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الالداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطمينا لخاطره في سورة المائدة « والله يعصمك من الناس » أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء أن يعاقب من ينسب اليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى : « أمْ يقولونَ افترَى على الله كذِباً فإن يشاءَ اللهُ يخْتِمْ على قلْبِكَ ويَمْحُ اللهُ الباطِلَ ويُحِقُّ الحَقَّ بِكَلماتِهِ إنَّهُ عليمٌ بذات الصُّدورِ » ، وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي ، وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها ومنها مالا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعد أن قهرهم الفرس قهرا شديدا

---

(١) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا .

(٢) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه .

حتى كادوا يختلون القسطنطينية عاصمة ملكهم . فالاخبار اذا بأن الروم سيردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون الا من عند الله ، ولذلك استغربه جدا بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى .

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبدالله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال : أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : « يا أيُّها النبيُّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِداً ومُبَشّراً ونَذيراً » . وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب [1] في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا .

وروى مثله عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه وهو الذي كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي بعض طرق الحديث : ولا صخب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدي امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهوا ءمشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال

(١) شديد الصوت .

وهو الصادق الامين عبدي أحمد المختار مولده ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمادون الله على كل جال .

تبشير الانجيل

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفارقليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف « وإذْ قال عيسى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَني اسرائيلَ إنّي رسُولُ الله إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بينَ يَديَّ مِنَ التَّوْراةِ ومُبَشِّراً بِرَسولٍ يأتي مِنْ بعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ » وقد وصف المسيح هذا الفارقليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم « وَما يَنْطِقُ عن الْهَوى . إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يوحى » وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة .

حركة الأفكار قبل البعثة

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر ، فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث

---

(١) ترجم الى العربية وهو الآن مطبوع بمصر .

الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم. فكثيرا ما نسمع ذلك منهم • فلما بعث الله رسوله محمدا أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته عليه السلام في كتبهم أن هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغي سيتمكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة • وكان أمية بن أبي الصلت المتنصر العربي كثيرا ما يقول : اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا • وحدث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيسا فكان يقول له: يا سليمان، ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان • ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب . أما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من ردّ ردا لطيفا وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ما ذاك الا لانهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي من بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فأجابوا بالتي هي أحسن . أما ما سمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس بعد ما ذكرته الك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التي جاد الله بها على يديه والاقوال التي أتانا بها أعظم مقو لحجته ومؤيد لدعوته • وسيأتي عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوي •

بدء الوحي

لما بلغ صلى الله عليه وسلم الاربعين من عمره ، وكان ذلك في أول شباط (فبراير) سنة ٦١٠م بدىء من الوحي بالرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا تحققت كما يراها . وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال .

ثم حبب اليه عليه السلام الاختلاء بنفسه والتعبد بعيدا عن الناس وعن ظلمات هذا العالم ، فكان يعتزل أهله وقومه ويمضي في غار حراء وهو جبل على مقربة من مكة ، تارة عشر ليال وتارة اكثر الى شهر . وكان يعبد الله على دين ابراهيم عليه السلام ، وكان يأخذ معه ما يكفيه من الزاد فاذا فرغ عاد الى خديجة فيتزود مثلها .

فبينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال : أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء فانه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلا فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء . فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله ، فقال: اقرأ . قال: ما أنا بقارىء ، فأخذه فغطه الثالثة ، ثم أرسله فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ . خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله خائفاً مروعا فدخل على زوجته خديجة وقال لها : زملوني زملوني (أي لفوني في ثوب) لتزول عنه هذه الرعدة التي المت به من الذعر . فلما زال عنه ما كان ألم به من الذعر أخبر خديجة بما رآه وخاف أن يكون الذي ظهر له شيطان فقالت : « كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل